ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 7, Issue 3, March 2020, p. 646-669

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
07/10/2019
Received in revised form
10/11/2019
Accepted
10/12/2019
Available online
15/03/2020

USING THE QURANIC TEXT TO SERVE HISTORICAL NARRATIVES IN THE INTRODUCTION TO IBN KHALDUN (D. 808 AH / 1406AD)

Dr. Iman Saleem KADHIM[1]

Abstract

This research is an attempt to elucidate the Quranic impact in the service of the historical text. The philosophy of history has relied upon many historians later, has employed the Quranic texts in his famous book (Introduction Ibn Khaldun), and there is no doubt that the Koran is a source from which Arab researchers draw at all times and place and employ its contents and different topics, and we have noted that the verses of the Koran Yeh cited by Ibn Khaldun in his introduction were not intended for the same, he cited together to serve the historical text. Hence the importance of the research, which highlights three axes of importance of science and urbanization as well as the importance of human sociology, that the main purpose of the research is to demonstrate the validity of the use of the text in the field of science, urbanization and sociology, because it is inexhaustible to researchers, as well as knowing the extent of Ibn Khaldun's reliance on texts In addition, he analyzed the objectives of Ibn Khaldun in referring to the texts, and the extent of his success to prove his theories contained in his book. The first section in which we highlighted the use of the Koranic text to demonstrate the importance of science, especially since Ibn Khaldun had divided it into several doors, while the second section dealt with the use of the Koranic text to indicate the importance of urbanism The third topic dealt with the use of the Koranic text to show the importance of human

[1]The Iraqi Ministry of Education / Al-Farabi Preparatory School for Boys, aljubourieman@gmail.com

sociology, as Ibn Khaldun was the first to establish sociology and his introduction attests to his leadership of this science, where he dealt with the social aspects of the conditions of human society, and has enabled friction with other peoples to note P Lahr The meeting between the life of its people.
Key words: recruitment, Quranic text, novels, historical, introduction to Ibn Khaldun.

توظيف النص القرآني في خدمة الروايات التاريخية في مقدمة ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م)

م. د. إيمان سليم كاظم حسين الجبوري
وزارة التربية العراقية / اعدادية الفارابي للبنين

الملخص

أن هذا البحث محاولة لاستجلاء الأثر القرآني في خدمة النص التاريخي ، ومن المعروف أن القران الكريم معجزة العصر وقد اعتمده عدد من الباحثين والمؤرخين لتوظيف آياته والنصوص الواردة فيه لتوثيق ودعم ارائهم ونظرياتهم، ومن هولاء ابن خلدون الذي يعد من مؤسسي علم الاجتماع في عصره وله نظريات في فلسفة التاريخ اعتمد عليها الكثير من المؤرخين فيما بعد ، وقد وظف النصوص القرآنيه في كتابه المشهور (مقدمة ابن خلدون) ، ومما لاشك فيه ان القران الكريم يعد مصدرا يستقي منه الباحثين العرب في كل زمان ومكان ويوظفون مضامينه وموضوعاته المختلفة، ، وقد لاحظنا أن الايات القرآنية التي اوردها ابن خلدون في مقدمته لم تكن مقصودة لذاتها، الأ انه استشهد ببعضها لخدمة النص التاريخي . ومن هنا تأتي أهمية البحث الذي يسلط الضوء على ثلاث محاور اهميه العلم والعمران فضلا عن أهمية علم الاجتماع الانساني ،أن الغاية الاساسية من البحث بيان صحة توظيف النص في مجال العلم والعمران والاجتماع ، لأنه معين لا ينضب للباحثين ،

وكذلك معرفة مدى اعتماد ابن خلدون على النصوص القرآنية لتسديد أرائه البحثية ، فضلا عن ذلك تحليل اهداف ابن خلدون في الاشارة الى النصوص ، ومدى نجاحه لإثبات نظرياته الواردة في كتابه. قسم البحث الى تمهيد وثلاث مباحث ،تناول التمهيد سيرة ابن خلدون وعصره ، اما المبحث الأول سلطنا فيه الضوء على توظيف النص القرآني لبيان اهمية العلم، لاسيما ان ابن خلدون كان قد قسمه الى ابواب عدة ، في حين تناول المبحث الثاني توظيف النص القرآني لبيان أهمية العمران البشري، اما المبحث الثالث فتناول توظيف النص القرآني لبيان أهمية علم الاجتماع الإنساني ، إذ يعد ابن خلدون اول من انشئ علم الاجتماع وتشهد مقدمته على ريادته لهذا العلم ، حيث عالج في مقدمته المظاهر الاجتماعية المتمثلة بأحوال الاجتماع الانساني ، وقد مكنه الاحتكاك مع الشعوب الاخرى على ملاحظة ظواهر الاجتماعية والحياة بين اهلها.

كلمات مفتاحية: توظيف، النص القرآني، الروايات، التاريخية، مقدمة ابن خلدون.

المدخل:

ابن خلدون من اعظم علماء الاجتماع والتاريخ وهو غني عن التعريف فقد كُتَب في حياته مؤلفات كثيرة ومجلدات جمة، الا ان من التذكرة الخوض في بعض تفاصيل حياة هذا العالم . ابن خلدون هو عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، اسرته من اصول عربية ذات نفوذ في اشبيلة، ولد في تونس سنة (732هـ/ 1332م) ونشأ فيها، إذ نشأ في بيت محب للعلم والتعلم، الامر الذي سهل عليه سبل انتهال العلم والمعرفة واول معلم في حياته هو والده. (الشوكاني، د.ت، ج1، ص337)/(الطباع، 1997م، ص30)/(الزركلي، 2002م، ج3، ص330)، تخرّج من جامعة الزيتونة. جامع الزيتونة أو جامع الزيتونة المعمور أو الجامع الأعظم، هو المسجد الجامع الرئيسي في مدينة تونس العتيقة في تونس العاصمة، وأكبرها وأقدمها ويرجع بناؤه لتدريس المذهب

المالكي سنة (698هـ/ 1299م) بأمر من حسان بن النعمان، الا ان بناؤه أتمه عبيد الله الحبحاب في سنة (732هـ/ 1332م)، ويُعد ثاني أقدم مسجد في تونس بعد جامع عقبة بن نافع، ثم تطور منهج التدريس فيه ليشمل مختلف العلوم. (مقديش، 1988م ، ج1، ص589)، وليَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب، ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف ، فصنف فيها أهم المصادر للفكر العالمي، ومن أشهرها كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) المعروف بـ(تاريخ ابن خلدون)، ان خبرته التي الهمته كتابة هذه المصنفات كانت نتيجة اسباب عدة اهمها كثرة ترحاله الى المدن والبلدان بعد تخرجه، منها: غرناطة، بجاية، تلسمان، بسكرة، كما تَوَجَّهَ إلى مصر إذ اكرمه السلطان برقوق، السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انس بن عبد الله الشركسي، وُلد في القفقاس سنة (740هـ/ 1340م)، وعمره عشرين ليلتحق بالجيش المصري حيث أتقن فنون الحرب والفروسية، وترقّى في المناصب العسكرية ورُتب الإمارة حيث أصبح أمير طبلخانه، ثم أمير آخور ثم اتابكا سنة (779هـ/1379م) ، ثم عمل على جمع شمل الأمراء الشراكسة وتعزيز مواقعهم ثم عين وصيا على العرش بعد وفاة السلطان المنصور علاء الدين علي بن وتولية ابنه الطفل الصالح حاجي سنة 781هـ/ 1381م) ، ثم نصب سلطانا فعليا عليهم بدلا من السلطان الاسمي الصغير سنة 784هـ/1384م) ولُقّب بالملك الظاهر سيف الدين برقوق فكان بذلك مؤسس دولة السلطنة الشركسية في مصر استمرت حتى 1517م. (الشوكاني، د.ت، ج1، ص162)؛ (ابن تغري بردي، د.ت، ج5، ص19)، واسند له قضاءها فحاول تحقيق العدالة الإجتماعية من خلال الاحكام التي أصدرها، فضلا عن تدريسه في الجامع الازهر والمدرسة النظامية بالقاهرة، لم ينعم بالهدوء والاستقرار سوى أربع سنوات قضاها في قلعة ابن سالمة (775-778هـ/ 1375- 1378م) بعيدا عن شواغل السياسة ، وكانت هذه العزلة أخصب فترات حياته في إلنتاج العلمي وقد أنهى فيها تأليف المقدمة –المشهورة أيضا بمقدمة ابن خلدون– خلال خمسة أشهر قضاها في التأمل و

الكتابة و هي الكتاب أو المجلد الأول ضمن أشهر كتبه –كتاب "العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"،الذي يقع في سبعة مجلدات،ظلَّ في القاهرة خلال السنوات (784–808هـ/1384– 1406م) أي لغاية وفاته(الشوكاني، د.ت، ج1، ص337)، عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركاً للاجيال اللاحقة تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى يومنا الحاضر وعدَّ المؤرخون.(ابن تغري بردي، د.ت، ج13، ص155) ابن خَلدون من اهم علماء المغرب العربي في التاريخ وعلم الاقتصاد ومؤسسً لعلم الاجتماع فقد قدم نظريات عديدة فيه منها ما ورد في كتابه المقدمة عن (**في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب**) (ابن خلدون، 1984، ص25).

المبحث الأول: توظيف النص القرآني لبيان أهمية العلم:

تعرض ابن خلدون في كتاباته الى العلم والتعلم كونهما من أهم المسائل التي لها تأثير في بناء المجتمع ونوع تركيبته؛ لذا فقد ساهم في وضع نظريات قريبة الى الواقع ان لم تكن من المسلمات ، من هذا المنطلق تم توظيف النص القرآني في نظرياته وابحاثه عن أهمية العلم لتكون سنداً لاثبات صحة براهينه، وقد خصص لذلك بعضا مما بحثه من المواضيع كما هو وراد في الفصل الخامس عشر من الجزء الاول تحت عنوان (**في أن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب**). (ابن خلدون، 1988، ج1 ص599)، اذ يبين ابن خلدون في هذا الفصل كيفية خلق الله عز وجل الانسان من العدم ثم جعله نطفة في قرار مكين ومن جعل النطفة علقة في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ }** (سورة المؤمنون، الايتان 12–13)، ومن ثم نجد ان ابن خلدون يوضح ان الانسان يمارس ثلاثة انماط من النشاط العقلي في مجال العلم ضمن تصوره

لنظرية المعرفة من خلال الاية القرآنية في قوله تعالى: { **أَخْرَجَكُمْ من بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} (سورة النحل، الآية 78)، ولا يكاد وهو يتعمق في الموضوع أن يلازم القارئ في ذهنه الاحساس الدائم بالحضور الالهي المستمر عبر حوادث التاريخ، من خلال الاستشهاد بآيات من كتاب الله عز وجل وهما امران لهما دلالتهما على عمق المعنى والرؤية الدينية لدى ابن خلدون مبينا ذلك في قوله: (قد بينا أن الانسان من جنس الحيوانات وأن الله تعالى ميزه عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به افعاله على انتظام وهو العقل التمييزي، أو يقتنص به العلم بالاراء، والمصالح والمفاسد من ابناء جنسه وهو العقل التجريبي، أو يحصل به في تصور الموجودات غائبا وشاهدا على ما هي عليه وهو العقل النظري. وهذا الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه.) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص599).

أن العلم والتعليم عند ابن خلدون طبيعيان فى العمران البشرى ونظريته مفادها أن العلوم تكثر حينما يكثر العمران وتعظم الحضارة، ويستفيض فى الحديث عن أصناف تلك العلوم يبدأها بالعلوم الإسلامية هي: علوم القرآن: من التفسير فيبين كلام القرآن الكريم بقوله : (**وأمّا القرآن وإن كان من المنثور إلّا أنّه خارج عن الوصفين وليس يسمّى مرسلا مطلقا ولا مسجّعا. بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذّوق بانتهاء الكلام عندها. ثمّ يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنّى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى: {اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}** (سورةالزمر ، الآية 23). **وقال: {قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ}** (سورة الانعام، الآية 97) . **ويسمّى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم في السّجع ولا هي أيضا قوافٍ. وأطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلّها على العموم لما ذكرناه واختصّت بأمّ القرآن للغلبة فيها كالنّجم للثّريّا ولهذا سمّيت السّبع المثاني.**) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص781) ، والقراءات، وعلوم الحديث النبوي الشريف، وعلم الفقه وأصوله، وعلم الكلام، وعلم التصوف، وغيرها، ثم يبدأ بالحديث فى

الأوائل من العلوم كعلم الحساب والهيئة، وعلم المنطق، وعلم الطبيعيات، وعلم الطب، وعلم الفلاحة، وعلم الإلهيات وعلم الكيمياء يستشهد ابن خلدون عن تلك العلوم التي بينها الله عزوجل فيقول : (**قال الله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَيانَ }** (سورة الرحمن، الآييتان 3-4) **وهو يشتمل بيان الأدلّة كلّها. فالخطّ المجوّد كماله أن تكون دلالته واضحة، بإبانة حروفه المتواضعة وإجادة وضعها ورسمها كلّ واحد على حدة متميّز عن الآخر**). (ابن خلدون، 1984، ج1، ص531). الفلسفة، مستعرضا لكل منهم تاريخه وأشهر أعلامه. ثم يفيض في الحديث عن علوم اللسان العربى مبينا اقسامه هي: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان وعلم الأدب يبدأ بقوله: (إنه لا موضوع له ينظر فى إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، ويقول إن لغة العرب من أهل الحضر والأمصار لزمنه مغايرة أو مخالفة للغة مضر الفصحى، إذ اتخذ كل مصر وكل بلد لنفسه لغة عامية عربية مستقلة به، ويتحدث عن صناعة الشعر والنثر وأشعار العرب والأمصار لزمنه والموشحات والأزجال وغيرهما من فنون الشعر المستحدثة كالمواليا) (ابن خلدون، 1984، ج3، ص763). وبذلك كله وضع ابن خلدون فى مقدمة تاريخه لأول مرة فى تاريخ الفكر الإنسانى علم الاجتماع بأركانه وقواعده وقوانينه أو كما يسميه علم العمران البشرى سابقا بذلك علماء الغرب الذين لم يعنوا به بعده إلا بنحو أربعة قرون، وهو بحق عبقرىّ فذّ لا لتونس وحدها بل للعرب جميعا فى كل مكان وزمان.(ضيف، 1995م، ج9، ص326). يعزز ابن خلودن نظريته في تحصيل العلم من خلال فلسفته عن علاقة العقل والشرع وبين العقل والعالم، بما أن العقل البشري والادوات الحسية التي يعتمدها، غير قادرتين على سبر أغوار هذا العالم الذي يتحتم . على ذلك . ان يبقى في دائرة اختصاص الشرائع القومية الموحى بها من الله سبحانه وتعالى الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . سبحانه . احاط بكل شيء علما، ففي الفصل السادس عشر من كتابه عن علم الكلام والغرض منه لبيان المحكم والمتشابه يقول: (**الفصل السادس عشر في كشف الغطاء عن**

المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنّية والمبتدعة في الاعتقادات: اعلم أنّ الله سبحانه بعث إلينا نبيّنا محمّدا (صلّى الله عليه وسلّم) يدعونا إلى النجاة والفوز بالنّعيم، وأنزل عليه الكتاب الكريم باللّسان العربيّ المبين، يخاطبنا فيه بالتكاليف المفضية بنا إلى ذلك. وكان في خلال هذا الخطاب، ومن ضروراته، ذكر صفاته سبحانه وأسمائه، ليعرّفنا بذاته، وذكر الروح المتعلّقة بنا، وذكر الوحي والملائكة، الوسائط بينه وبين رسله إلينا. وذكر لنا يوم البعث وإنذاراته ولم يعيّن لنا الوقت في شيء منه. وثبّت في هذا القرآن الكريم حروفا من الهجاء مقطّعة في أوائل بعض سوره، لا سبيل لنا إلى فهم المراد بها. وسمّى هذه الأنواع كلّها من الكتاب متشابها. وذمّ على اتباعها فقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله، وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا به كُلٌّ من عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ} (سورة ال عمران، الآية 7) **وحمل العلماء من سلف الصحابة والتابعين هذه الآية على أنّ المحكمات هي المبيّنات الثابتة الأحكام.**) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص600).

وطالما تجاوز العقل وأدواته الحسية حدود اختصاصاتها المعقولة حيثما انتهى بهما المطاف الى الضياع، وحيثما مورس نوع من التبذير في الطاقات البشرية التي كان احرى بها ان تتجه للعمل في ما هو أقرب اليها وأجدى عليها، وأن تترك ما وراء العيان لاصحابه الحقيقيين وهم الانبياء والمرسلين فذكر ابن خلدون قائلا: (ذلك أن الأنبياء والرّسل إنّما يختصّ بهم أكمل النّوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** (سورة ال عمران، الآية 110) ، وذلك ليتمّ القبول بما يأتيهم به الأنبياء من عند الله) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص600)، كما اكد الله عز وجل على ان الانبياء هم بشر مثلنا انما الفرق انهم يوحى اليهم من قبل العزيز الحكيم فاستشهد ابن خلدون بقوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ، فَاسْتَقِيمُوا**

إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} (سورة فصلت، الآية 6)، وايضا وظف النصوص القرآنية في بيان قوانين الشرائع السماوية بقوله: **(فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدّولة وبصرائها كانت سياسة عقليّة وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقرّرها ويشرّعها كانت سياسة دينيّة نافعة في الحياة الدّنيا وفي الآخرة وذلك أنّ الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنّها كلّها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء، والله يقول {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثاً}** (سورة المؤمنون، الآية 115)، **فالمقصود بهم إنّما هو دينهم المفضي بهم إلى السّعادة في آخرتهم {صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ}** (سورة الشورى، الآية 53)، **فجاءت الشّرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتّى في الملك الّذي هو طبيعيّ للاجتماع الإنسانيّ فأجرته على منهاج الدّين ليكون الكلّ محوطا بنظر الشّارع. فما كان منه بمقتضى القهر والتّغلّب وإهمال القوّة العصبيّة في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السّياسيّة وما كان منه بمقتضى السّياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنّه نظر بغير نور الله {وَمن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ من نُورٍ}** (سورة النور، الآية 40) **لأنّ الشّارع أعلم بمصالح الكافّة فيما هو مغيّب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلّها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره قال صلّى الله عليه وسلّم {إنّما هي أعمالكم تردّ عليكم» وأحكام السّياسة إنّما تطلع على مصالح الدّنيا فقط {يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنْيا}** (سورة الروم، الآية 7)، **ومقصود الشّارع بالنّاس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشّرائع حمل الكافّة على الأحكام الشّرعيّة في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشّريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء)** (ابن خلدون، 1984، ج1، ص238)، فتسلم وتعرف كيف تضع خطاها، مستمدة الضوء في تلك الدائرة اللامتناهية من مصادر اخرى تفوق العقل والحواس قدرة على رؤية ما يجري هنالك بقوله: (ويبدأ من التمييز، فهو قبل التمييز من النطفة والعلقة والمضغة، وما حصل له بعد ذلك فهو

بما جعل له الله في مدارك الحس والافئدة التي هي الفكر. قال تعالى في الامتنان علينا (**وجعل لكم السمع والابصار والافئدة**) (سورة الملك، الآية 23)، فهو في الحالة الاولى قبل التمييز فقط لجهله بجميع المعارف، ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته فتكمل ذاته الانسانية في وجودها. وانظر الى قوله تعالى مبدأ الوحي الى نبيه (**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم**) (سورة العلق، الآيات 1-5)، أي اكسبه من العلم ما لم يكن حاصلا له، بعد ان كان علقة ومضغة فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي، واشارت اليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده وهي الانسانية وحالتاها الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ الوحي وكان الله عليما حكيما) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص599)، فعند كلام ابن خلدون عن كيفية فهم علم التفسير منذ زمن رسول الله (ﷺ) بايصاله المعنى المطلوب للصحابة وممن يتوافدون عليه (ﷺ) لمعرفة احكام دينه وشريعة الاسلام من خلال التوضيح المباشر للآيات يذكر ابن خلدون اراية المباركة في قوله تعالى: { **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**} (سورة النحل، الآية 44) ، وقد ارفد الله عز وجل الانبياء بالمعجزات والكرامات ليعزز موقفهم عند الضرورة بافعال تخرج عن قوانين الطبيعة او قدرة الانسان فذكرها ابن خلدون واسماها : (**ويقال لهذا التّدبير الصّناعيّ التّدبير العقيم لأنّ نيله إن كان صحيحا فهو واقع ممّا وراء الطّبائع والصّنائع كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والنّفوذ في كشائف الأجساد ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة أو مثل تخليق الطّير ونحوها من معجزات الأنبياء. قال تعالى:** {وَإِذْ تَخْلُقُ من الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي} (سورة المائدة، الآية 110)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص726)

المبحث الثاني: توظيف النص القرآني لبيان اهمية العمران البشري:

نظرية ابن خلدون الاجتماعية في كتابه المشهور " مقدمة ابن خلدون " يرتكز اليها اسس علم الاجتماع او" العمران البشري" كما يصطلح عليه ، اذ ان ابن خلدون اضاف في كتابه أن جميع الظواهر الاجتماعية الانسانية ترتبط ببعضها البعض، وقسم نظريته (العمران البشري) كنظرية في علم الاجتماع بطريقة منطقية وسهلة الادراك وهي:

أولاً: العمران البدوي: اعتبره العالم العربي ابن خلدون انه " أولئك الذين يجتمعون ويتعاونون في حاجاتهم ومعاشهم وعُمرانِهم من القوت والمسكن والدفء بالمقدار الذي يحفظُ الحياة، ويُحصِّل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك." وبالتالي فإن العمران البدوي هو اسلوب إنتاج اولي يقتصر على مسائل اساسية وضرورية مثل ما ذكره في مقولته الملابس والاقوات والمساكن، وتظهر العصبية القبلية في سبب عدم حب اهل البدو اختلاط الانساب مع اخرين غيرهم ،وذلك لهدف الحفاظ على نقاوة انسابهم ، كما اعتبره اصل للاجتماع البشري. فيقول: (وأمّا أعمار الدّول أيضا وإن كانت تختلف بحسب القرانات إلّا أنّ الدّولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الّذي هو انتهاء النّموّ والنّشوء إلى غايته قال تعالى {حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} (سورة الاحقاف، الآية 15)، ولهذا قلنا إنّ عمر الشّخص الواحد هو عمر الجيل) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص213)، ويبين ابن خلدون ان حكم البدو يعتمد على الانفراد بالسلطة والحكم ولولا ذلك لما استمرت الرياسة فيهم مستشهدا بمعاني القران الكريم في ذلك بقوله : **(وتلك العصبيّة الكبرى إنّما تكون لقوم أهل بيت ورئاسة فيهم، ولا بدّ من أن يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعيّن رئيسا للعصبيّات كلّها لغلب منبته لجميعها وإذا تعيّن له ذلك فمن الطّبيعة الحيوانيّة خلق الكبر والأنفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتّحكّم فيهم ويجيء خلق التّألّه الّذي في طباع البشر مع**

ما تقتضيه السّياسة من انفراد الحاكم لفساد الكلّ باختلاف الحكّام { لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتا } (سورة الانبياء، الآية 22)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص209)

ثانياً: العمران الحضري مما ذكره في مقولته حول (الحضر) وعرفهم بأنهم (' أنّ البدو هم المقتصرون على الضّروريّ في أحوالهم العاجزون عمّا فوقه وأنّ الحضر المعتنون بحاجات التّرف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شكّ أنّ الضّروريّ أقدم من الحاجيّ والكماليّ وسابق عليه ولأنّ الضّروريّ أصل والكماليّ فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهما لأنّ أوّل مطالب الإنسان الضّروريّ ولا ينتهي إلى الكمال والتّرف إلّا إذا كان الضّروريّ حاصلا فخشونة البداوة قبل رقّة الحضارة ولها نجد التّمدّن غاية للبدويّ.) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص153). وهنا بخلاف ما ثم ذكره ابن خلدون حول البدو فهم عكس ذلك حيث تتلاشى العصبية الخاصة وعوامل النسب واختلاطه وفي هذا يقول ابن خلدون : (**ثمّ إنّ الاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النّسب أو التّربية أو الاصطناع القديم للدّولة كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه فتتمّ المشاكلة في الاستعانة قال تعالى: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً من أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ به أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ في أَمْرِي}** (سورة طه، الآيات 29-32)/ (ابن خلدون، 1984، ج1، ص293)، والحاكم يعتمد كغيره من الحكام على ما يمكن ان نسميه بعصبيات متعددة لتتوسع قاعدة الملك ليصبح اغنى واقوى بغية اللجوء الى استصدار قوات اجنبية داخل جيشه ليغرق رؤساء القبائل التي يحكمها بالأموال فتبلغ الدولة مجدها ويعيش من هم تحث سيطرته في الرفاه .

وعندما ذكر ابن خلدون مقارنة بين العمران البدوي والعمران الحضري إن حياة البدو تقتصر كما قلنا سابقا على الحاجات التي تعتبر ضرورية، وأهل الحضر هم يعيشون على الترف والكمال، والضروريات اقدم من الكمال، فالضروريات أصل والكماليات فرع منها، وهنا يستفاد على ان البدو هم اصل المدن والحضر ، لأن الضروري مطلب الانسان قبل الكمال

فعمل الحضر بالتجارة وكانت من اهم مواردهم المالية استشهد ابن خلدون بما جاء في القران الكريم بتفضيل البعض على البعض الاخر بقوله وبالتالي فإذا حصل عليه طلب الكماليات ، والبدو هاجر الى الحضر وإذا وصل اليه عاش في دعة كما يقال ،أما الحضري فلا يذهب الى البدو إلا لضرورة ملحة. وبالإضافة الى أن النفس إذا كانت على سجيتها تكون متأثرة إما بالخير او الشر،واستدل ابن خلدون في هذا الباب بالحديث التالي " كل مولود يولد على الفطرة. (ابن خلدون، 1984، ج1، ص153).بين ابن خلدون أن الانسان بطبيعته اذا تأثر إما بالخير أو الشر فإنه يبقى ملتزما به ويبتعد عن الاخر،اما اهل الحضر فقد تلونت نفوسهم بكل ملذات الحياة والترف فانهمكوا في الترف وتظاهروا بالفواحش والمعاصي، وأما بخصوص اهل البداوة لا يعرفون الشهوات الا عند الضرورات ، لدى فإنهم كانوا اقل وقوعا في الفواحش والشر من اهل الحضر ، وكانوا اسهل في علاجهم من اهل الحضر فيقول (اعلم أنّ الله سبحانه ركّب في طبائع البشر الخير والشّرّ كما قال تعالى {وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ} (سورة طه، الآيات 29-32) وقال {فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها} (سورة طه، الآيات 29-32) والشّرّ أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذّبه الاقتداء بالدّين وعلى ذلك الجمّ الغفير إلّا من وفّقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظّلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدّت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدّت يده إلى أخذه إلّا أن يصدّه وازع) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص159). ولأن الحضارة هي نهاية العمران وغاية ومنتهى في الشر فإن اهل البدو أقرب الى الخير. ومما قال على اهل الحضر ايضا انهم تعودوا على الراحة والترف بحيث يدافع عنهم الحاكم وجيشه وهم في رخاء ، فأصبحوا اقرب ما يكونوا من النساء والاطفال في اعتمادهم على المعيل وعلى الوالدين ، فيقول ابن خلدون : (أنّ أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن فبذلك تنبسط النّفوس إليه لثقتها بإدراك المنفعة فيه والله سبحانه وتعالى

{مالك الأمور كلها وبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} (سورة يس ، الآية 88)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص345). **وعن مسألة العدل في الحكم من قبل الحاكم فيقول ابن خلدون : (في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره اعلم أنّه قد تقدّم لنا في غير موضع أنّ الاجتماع للبشر ضروريّ وهو معنى العمران الّذي نتكلّم فيه وأنّه لا بدّ لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثّواب والعقاب عليه الّذي جاء به مبلّغه وتارة إلى سياسة عقليّة يوجب انقيادهم إليها ما يتوقّعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم... وهو قول الله عزّ وجلّ {وَمن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (سورة التغابن، الآية 16)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص383)، **كما بين ابن خلدون ان اهل الحضر يخضعون للحاكم ولقاعدته ولأعوانه ، فإذا كان الحاكم عادلا مترفقا بهم اصبح الاعتزاز بالنفس طبيعة لهم في حياتهم ، أما اذا كان العكس أي إذا كان الحاكم قاسيا فإن ذلك يجعلهم مقهورين وباستمرار القهر عليهم يجعلوهم أذلاء فيقول: (الأمّة تأذّن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى: {وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً }** (سورة الاسراء، الآية 16). **ووجهه حينئذ إنّ مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النّفس بها فلا تستقيم أحوالهم. وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحدا واحدا اختلّ نظام المدينة وخربت).** (ابن خلدون، 1984، ج1، ص467) . إما إذا اقتصر الحاكم على التهذيب والتأديب والتخويف تربوا على الانقياد والخوف لغاية نهاية دولتهم فهذه يعتبرها ابن خلدون اطوار الامم بينها من خلال استشهاده بما ورد في القران الكريم قائلا: **(ولا يزال طورا بعد طور إلى أن تنقرض الدولة. واعتبر ذلك في كلّ دولة عظمت أو صغرت. فهكذا سنّة الله في الدّول إلى أن يأتي ما قدّر الله من الغناء على خلقه. و {كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** (سورة القصص، الآية 88)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص370).

وهذا لا يمكن ان نطبقه على مجتمع البدو، لأن هذا المجتمع اشد بأسا من الخاضعين للحكم في المدن الذين يرتضون الظلم ولا يقومون بمقاومتهم ، ونجد ذلك في طلبة العلم الخاضعين لشيوخهم ، ولا ينطبق على الصحابة حيث لم يكن تعليمهم صناعيا وإنما كان بتأثرهم بالتعاليم الدينية في استعمال اسلوب الترغيب والترهيب، فظلوا متنعمين بالبأس والشجاعة فيستعيت ابن خلدون في توظيف الايات القرانية المباركة بقوله: " {ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ من يَشاءُ} (سورة المائدة، الآية 54)، **{قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ}** (سورة ال عمران، الآية 26) **{اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ.}** (سورة الانعام، الآية 124)، **هذه كلّها. آياته والرابعة: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها}**. (سورة النحل، الآية 18)/(ابن خلدون، 1984، ج6، ص414) ".

المبحث الثالث: توظيف النص القرآني لبيان أهمية علم الإجتماع الإنساني:

علم الاجتماع هو ذلك العلم الذي يدرس الظواهر، والنظم، والعلاقات الاجتماعية دراسةً علمية باستخدام المنهج العلمي، والذي يوصلنا إلى معرفة الظواهر التي تنظم الظواهر، والقوانين، والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات. إنّ الغاية من دراسة علم الاجتماع هي: دراسة الظواهر الاجتماعية المتعددة. استخلاص القوانين المنظّمة لتلك الظواهر الاجتماعية. (عثمان، 2006م، ص15-16). وقد افرد ابن خلدون كتاب عن العمران الانساني بعنوان " في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب " يُعرّف علم الاجتماع قائلا: (أعلم أنّه لما كانت حقيقة التّاريخ أنّه خبر عن الاجتماع الانسانيّ الّذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التّوحّش والتّأنّس والعصبيّات وأصناف التّغلّبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدّول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصّنائع وسائر

ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص46). في هذا التعريف أدرك ابن خلدون أنّ الظواهر الاجتماعية هي موضوع هذا العلم الجديد، ومنهجه وصفي تجريبي، وأوضح أنّ الغاية منه هي دراسة تلك الظواهر، واستخلاص القوانين المعبرة عنها، وهي على حد قوله ليست خاضعة لمزاجية البشر، ولا للمصادفات، بل إن لها عللاً، وأسباباً، وذلك يعود لخضوع المجتمع لقوانين تنظمه، وتدير شؤونه. استطاع ابن خلدون من بحثه واكتشافه لهذا العلم أن يسبق العالم أوغست كونت، والذي قال إنّ الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين، ولا تسير وفق الأهواء، والمصادفات، وما على الناس إلا إدراكها، ومعرفتها. يعزز ابن خلدون نظريته في الاستشهاد بالاية القرآنية في سياق كلامه عن اشباع الحاجات بقوله: **(ومنها السّعي في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله من الافتقار إلى الغذاء في حياته وبقائه وهداه إلى التماسه وطلبه قال تعالى: {أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى}** (سورة طه، الآية 50)، **ومنهما العمران وهو التّساكن والتّنازل في مصر أو حلّة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التّعاون على المعاش كما نبيّنه ومن هذا العمران ما يكون بدويّا وهو الّذي يكون في الضّواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرّمال ومنه ما يكون حضريّا وهو الّذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتّحصّن بجدرانها وله في كلّ هذه الأحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتيّا له)** (ابن خلدون، 1984، ج1، ص53)، وهذه الاية التي استشهد بها ابن خلدون تبين ارتباط افكار ابن خلدون وبين الايات القرآنية التي تستحضره بين بنات افكاره ، أي انه جمع في نظريته بين التفكير النظري والأسلوب العلمي مما ساعده على تدوين نظرياته و مشاهداته، كما مكنته رحلاته ومن ثم وظائفه من تعميق معارفه و توسيع ملاحظاته، كما مكنه اطالعه على الأوضاع عن كثب من التدقيق في منهجه والتفكير بنوع أسلوبه في الكتابة. ويمكن تلخيص كتاب ابن خلدون بالقول انه عبارة عن مجموعة أسس ونظريات وضعها لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع خلاف ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس

الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسية تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته يبين ان قوانين نظرياته بانها تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست وفقهت جيدا، وأن هذا العلم يتأثر بالمجتمعات ككل، كما يتأثر بالحوادث الفردية ويمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنه مختلفة بشرط أن تكون البنية واحدة في جميعها . وقد توصل في نظرياته بالفكر الأجتماعي امور مهمة اهمها الجوانب التالية:

1- استشهد بالايات المباركة عن قدرة الله عز وجل بتعاقب الليل والنهار وهو اشارة للاستمرارية، وقدرته جل وعلا في انشاء خلق جديد في تقديم دراسة تاريخية للمجتمع أشار فيها إلى أن المجتمع يمر بثالث مراحل تاريخية متباينة و كل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها فيقول : (**ثمّ لا بدّ من أن يستجدّ عمران آخر في ظلّ الدّولة الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدّولة. وإنّما ذلك بمثابة (من له بيت على أوصاف مخصوصة فأظهر من قدرته على تغيير تلك الأوصاف) وإعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه فيخرّب ذلك البيت ثمّ يعيد بناءه ثانيا. وقد وقع من ذلك كثير في الأمصار الّتي هي كراسيّ للملك وشاهدناه وعلمناه { وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ}** (سورة المزمل، الآية20). **والسّبب الطّبيعيّ الأوّل في ذلك على الجملة أنّ الدّولة والملك للعمران بمثابة الصّورة للمادّة وهو الشّكل الحافظ بنوعه لوجودها. وقد تقرّر في علوم الحكمة أنّه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر. فالدّولة دون العمران لا تتصوّر والعمران دون الدّولة والملك متعذّر لما في طباع البشر من العدوان الدّاعي إلى الوازع فتتعيّن السّياسة لذلك إمّا الشّرعيّة أو الملكيّة وهو معنى الدّولة وإذا كانا لا ينفكّان فاختلال أحدهما مؤثّر في اختلال الآخر كما أنّ عدمه مؤثّر في عدمه والخلل العظيم إنّما يكون من خلل الدّولة الكلّيّة مثل دولة الرّوم أو الفرس أو العرب على العموم أو بني أميّة أو بني العبّاس كذلك. وأمّا الدّولة الشّخصيّة مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد**

الملك بن مروان أو الرّشيد فأشخاصها متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشّبه بعضها من بعض فلا تؤثّر كثير اختلال لأنّ الدّولة بالحقيقة الفاعلة في مادّة العمران إنّما هي العصبيّة والشّوكة وهي مستمرّة على أشخاص الدّولة فإذا ذهبت تلك العصبيّة ودفعتها عصبيّة أخرى مؤثّرة في العمران ذهبت أهل الشّوكة بأجمعهم وعظم الخلل كما قرّرناه أوّلا {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَما ذلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ } (سورة ابراهيم، الآية20)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص471).

2- وظف الايات القرآنية عندما قسم المجتمعات إلى أنواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري و الأقتصادي والفني فابرز نوعين من المجتمعات البشرية، الأول هو المجتمع الريفي و سماه مجتمع البدو والذي يتميز بظاهرة العصبية .أما الثاني فهو المجتمع الحضري الذي يتميز بمستوى اقتصادي عال و بدرجة كبيرة من التقدم الثقافي و الصحي و العمراني.

3- الحركة الأجتماعية في دورة مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل دائم قوله: **(سنّة الله في الحياة الدّنيا {وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}** (سورة الزخرف، الآية 35)، **واعتبر هذا بما وقع في العرب لمّا انقرض ملك عاد قام به من بعدهم إخوانهم من ثمود ومن بعدهم إخوانهم العمالقة ومن بعدهم إخوانهم من حمير أيضا ومن بعدهم إخوانهم التّبابعة من حمير أيضا ومن بعدهم الأذواء كذلك ثمّ جاءت الدّولة لمضر وكذا الفرس لمّا انقرض أمر الكينيّة ملك من بعدهم السّاسانيّة حتّى تأذّن الله بانقراضهم أجمع بالإسلام وكذا اليونانيّون انقرض أمرهم وانتقل إلى إخوانهم من الرّوم وكذا البربر بالمغرب لمّا انقرض أمر مغراوة وكتامة الملوك الأوّل منهم رجع إلى صنهاجة ثمّ الملثّمين من بعدهم ثمّ من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنّة الله في عباده وخلقه وأصل هذا كلّه إنّما يكون بالعصبيّة وهي متفاوتة في الأجيال والملك يخلقه التّرف ويذهبه كما سنذكره بعد فإذا انقرضت دولة فإنّما يتناول الأمر منهم من له عصبيّة مشاركة لعصبيّتهم الّتي عرف لها التّسليم**

والانقياد وأونس منها الغلب لجميع العصبيّات وذلك إنّما يوجد في النّسب القريب منهم لأنّ تفاوت العصبيّة بحسب ما قرب من ذلك النّسب الّتي هي فيه أو بعد حتّى إذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملّة أو ذهاب عمران أو ما شاء الله من قدرته فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل إلى الجيل الّذي يأذن الله بقيامه بذلك التّبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الأمم والدّول وأخذوا الأمر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبوحين عنه أحقابا.) (ابن خلدون، 1984، ج1، ص183)، وبنفس الكيفية فأن الله عزوجل يستبدل الملوك والامم بتعاقب الادوار من الضعف ثم القوة ومن ثم ضعف فانهيار وقد وظف ابن خلدون الايات القرآنية لهذا الغرض بالقول: **(إذا تأذّن الله بانقراض الملك من أمّة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرّذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السّياسيّة منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدّل به سواهم ليكون نعيا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير {وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً}** (سورة الاسراء، الآية 16) **واستقرئ ذلك وتتبّعه في الأمم السّابقة تجد كثيرا ممّا قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار... من القبيل أهل الملك إذا تأذّن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم إكرام هذا الصّنف من الخلق فإذا رأيته قد ذهب من أمّة من الأمم فاعلم أنّ الفضائل قد أخذت في الذّهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم {وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ}** (سورة الرعد، الآية 11)/(ابن خلدون، 1984، ج1، ص180-181).

1- الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه ويسير في شرح هذه القضايا ويؤكد على إن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون و الاشتراك في حياة الجماعة فيقول: **(وبين ذلك طبقات متعدّدة حكمة الله في خلقه بما ينتظم معاشهم وتتيسّر مصالحهم**

ويتمّ بقاؤهم لأنّ النّوع الإنسانيّ لا يتمّ وجوده وبقاؤه إلّا بالتّعاون بين أبنائه على مصالحهم، لأنّه قد تقرّر أنّ الواحد منهم لا يتمّ وجوده وإنّه وإن ندر ذلك في صورة مفروضة لا يصحّ بقاؤه. ثمّ إنّ هذا

التّعاون لا يحصل إلّا بالإكراه عليه لجهلهم في الأكثر بمصالح النّوع ولما جعل لهم من الاختيار وأنّ أفعالهم إنّما تصدر بالفكر والرّويّة لا بالطّبع. وقد يمتنع من المعاونة فيتعيّن حمله عليها فلا بدّ من حامل يكره أبناء النّوع على مصالحهم لتتمّ الحكمة الإلهيّة في بقاء هذا النّوع. وهذا معنى قوله تعالى {وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (سورة الزخرف، الآية 32)، **فقد تبيّن أنّ الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التّصرّف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتّسلّط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارّهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسّياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولكنّ الأوّل مقصود في العناية الرّبّانيّة بالذّات والثّاني داخل فيها بالعرض كسائر الشّرور الدّاخلة في القضاء الإلهيّ، لأنّه قد لا يتمّ وجود الخير الكثير إلّا بوجود شرّ يسير من أجل الموادّ فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشّرّ اليسير.)** (ابن خلدون، 1984، ج1، ص489).

2- بحث ابن خلدون الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة والمتحركة منها الأجزاء الظاهرة ووظائفها وفي الحين نفسه يبحث قوانينها التي تخضع لها في تطورها، كما انه اهتم اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي، والنظام الاقتصادي والعلاقات المتبادلة بينهما، كما اهتم ابن خلدون بالمقارنة بين المجتمعات البدائية والحديثة كقوله : **(في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة: اعلم أنّ هذه الأطوار طبيعيّة للدّول فإنّ الغلب الّذي يكون به الملك إنّما هو بالعصبيّة وبما يتبعها من شدّة البأس وتعوّد الافتراس ولا يكون**

ذلك غالبا إلّا مع البداوة فطور الدّولة من أوّلها بداوة ثمّ إذا حصل الملك تبعه الرّفه واتّساع الأحوال). (عبد الفتاح، 2006م، ص11).

كما عالجت نظرية ابن خلدون الاجتماعيّة عن الحاجات الإنسانيّة المستمدة من طبيعته الانسانية؛ حيث يحتاج الإنسان إلى المأوى والمأكل والملبس، واطلق عليها تسمية بـ (الاحتياجات بالأساسيّة أو الأوليّة)، والدافع في تلبية هذه الاحتياجات يؤدي بالشّخص لاستخدام معرفته وتفكيره بشكل أوسع، عند اشباعها تؤدي بدورها إلى نشوء احتياجات ثانويّة، ثم تأتي مرحلة عملية انماط التحضّر الاجتماعي، التي يبحث فيها الإنسان عن الكماليات، لذا يجب عليه أن يكون أكثر ذكاءً، ونتيجة لذلك تطوّرت الحضارات، كما تجدر الإشارة إلى أنّ ابن خلدون لم يعني أبداً أنّ الحضارة تقوم على الاحتياجات المادّيّة فقط، كما بين ابن خلدون طبيعة الإنتاج تعدتمد على ضرورة التّعاون بين أفراد المجتمع؛ لتلبية احتياجات الإنتاج. (ابن خلدون، 1984، ج1، ص215-216)، وبيّن أنّ الإنسان يتكون من جزأين هما: الجزء الجسديّ، والجزء الرّوحي المندمج مع الجزء الجسديّ، ولكل منهما تصوّراته الخاصّة، لكنّ الجزء المدرِك في كلتا الحالتين هو جزء الرّوح فبين ذلك باستشهاده بالنبوة ومسألة الوحي بقوله : (**لأنّ الإدراك النفسانيّ ليس بزمانيّ ولا يلحقه ترتيب، بل يدركه دفعة في زمن فرد. وأضغاث الأحلام زمانيّة، لأنّها في القوى الدماغيّة يستخرجها الخيال من الحافظة إلى الحسّ المشترك كما قلناه. وأفعال البدن كلّها زمانيّة فيلحقها الترتيب في الإدراك والمتقدّم والمتأخّر. ويعرض النسيان العارض للقوى الدّماغيّة. وليس كذلك مدارك النفس الناطقة إذ ليست بزمانيّة، ولا ترتيب فيها. وما ينطبع فيها من الإدراكات فينطبع دفعة واحدة في أقرب من لمح البصر. وقد تبقى الرّؤيا بعد الانتباه حاضرة في الحفظ أيّاما من العمر، لا تشذّ بالغفلة عن الفكر بوجه إذا كان الإدراك الأوّل قويا، وإذا كان إنّما يتذكّر الرّؤيا بعد الانتباه من النّوم بإعمال الفكر والوجهة إليها، وينسى الكثير من تفاصيلها حتّى يتذكّرها فليست الرّؤيا بصادقة، وإنّما هي من أضغاث الأحلام. وهذه العلامات من خواصّ الوحي. قال الله تعالى لنبيّه**

(صلّى الله عليه وسلّم) {لا تُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ به، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ } (سورة القيامة ، الآية16-19) **... وأمّا معنى التّعبير فاعلم أنّ الرّوح العقليّ إذا أدرك مدركة وألقاه إلى الخيال)** (ابن خلدون، 1984، ج1، ص227-228).

استشهد ابن خلدون بالايات القرانية لتوضيح دور الدّولة، وطبيعتها من أجل رفاه المجتمع؛ لأنّها تقدّم وظائف مهمّة في الحياة الاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة للأمم؛ لذلك وضع ابن خلدون نظرية الدولة، التي تُفيد بأنّ دور الدّولة هو تطبيق القانون والنظام المهم لأي مجتمع متحضّر ليتمكن من المشاركة في التّجارة والإنتاج، ويعد تطبيق كل من: حقوق الملكية، وحماية طرق التجارة، والحفاظ على الأمن، من الأمور المهمّة أيضاً، كما أنّ الفائض الاقتصادي سيزداد عندما تكون هناك سياسات حكوميّة تؤيّد الأنشطة الاقتصاديّة، ويجب على الحكومة أخذ الحد الأدنى من هذا الفائض، عن طريق جمع الضرائب، لتوفير الحد الأدنى من الخدمات والأعمال العامة الضرورية، وبالنسبة لابن خلدون يمكن تحقيق الضرائب المثلى إذا تمكّنت الحكومة من عدم تقليل عملية الإنتاج والتجارة بسبب فرض الضرائب.

الخاتمة:

يتضح مما سبق ذكره ان ابن خلدون قد ابدع في توظيف النص القرآني في بيان اهداف نظرياته في علم الكلام، وعلم الاجتماع، والعمران البشري، إذ بدأ بالمعارف والكسب العلمي للانسان من العدم الى الوجود، مبينا ذلك من خلال النصوص القرآنية، ثم اوضح حلقة الوصل بين الخالق والانسان وهم الانبياء والمرسلين وذكر الايات القرانية التي تبين منزلتهم وقدراتهم الخارقة لقوانين الطبيعة لكي تكون حجة دامغة على المعاندين والمشركين، كما بين من خلال النصوص القرآنية تعاقب الامم منذ استحداثها لغاية زوالها هي سنة كونية سنها الله عزوجل لاستمرارية الحياة، ان هذا الاستخدام في توظيف النص يدل على معجزة القرآن الخالدة لغاية يوم القيامة والحساب ينتهل منها القاصي والداني، فالقران الكريم نبع لا ينضب على مر العصور، وبالخصوص عندما يكون هناك عالم وفيلسوف كأبن خلدون الذي يعد من القلة القليلة ممن انجبتهم الامة الاسلامية في العلم والمعرفة.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

1) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. أبو المحاسن. جمال الدين (ت: 874هـ/1472م). (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب. القاهرة. مصر.

2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت: 808هـ/ 1406م). (1988م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة. ط2. دار الفكر. بيروت. لبنان.

3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت: 808هـ/1406م). (1984م). مقدمة ابن خلدون. دار القلم. بيروت. لبنان.

4) الزركلي، خير الدين. (2002م). معجم الأعلام. ط5. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.

5) الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ). (1995م). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة. بيروت. لبنان.

6) ضيف، شوقي. (د.ت). تاريخ الأدب العربي. ط1. دار المعارف. القاهرة. مصر.

7) الطباع، عمر فاروق. (1997م). ابن خلدون. مؤسسة المعارف للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

8) عبد الفتاح، سمير خليل. (2006م). مبادئ علم االجتماع. دار المشرق الثقافي. عمان. الاردن.

9) عثمان، إبراهيم. (2006م). مقدمة في علم االجتماع. دار الشروق للنشر و التوزيع. الاردن. عمان.

10)مقديش، محمود. (1988م). نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. تحقيق: علي الزواري. مُحَمَّد محفوظ. ط1. دار الغرب الاسلامي. بيروت. لبنان.